كتاب مفتوح إلى دولة رئيس الوزراء نوري المالكي

□ حسن العلوي

في أزمة غريبة على تاريخ العراق السياسي غربة الديمقراطية التي تعلقنا بأطرافها ونحن كلانا في هذه الشيخوخة .. وغربتها عندنا هي الفة حياة يومية في ديمقراطيات العالم منذ قرنين على الاقل .. فحيث تُشكل الوزارات او تسحب عنها الثقة تحت قباب البرلمانات .. فقد تشكلت وسقطت تسع وخمسون وزارة في العهد الملكي العراقي الموصوف بالاقرب للنظام البرلماني داخل قبة البلاط الملكي وليس داخل قبة البرلمان ..فيما تشكلت وزارات العهد الجمهوري منذ اكثر من نصف قرن بأوامر عسكرية .

العلوي

المالكي

مجلس النواب

وحيث يقيم مقامكم الكريم وهي منازل اهلنا في كرادة مريم والتي اغتصبتها الحكومة السابقة وحولتها الى مستوطنة خاصة بها قبل ان يسميها الاعلام الامريكي بالمنطقة الخضراء ... شهد المكان سبعة انقلابات عسكرية ونهوض وسقوط ما لايقل عن عشرين وزارة .. لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن قيامها او رحيلها .

ولهذا تكتسب الازمة الحالية معالي القيم الديمقراطية حيث صوت البرلمان في دورتين انتخابيتين لمقامكم الكريم رئيساً للوزراء .. وهو اي مجلس النواب يتحرك الان لجلسة حل الوزارة التي اختارها وهذا حق له .. بل هو الحق الوحيد الذي يجعل النظام القائم مختلفاً عن تاريخ طويل من الاستبداد .. فأين هي الازمة ..؟ واين هو الاشكال .. ؟ وما هذه الضجة ..؟ لاسيما وان بجانب اي حكومة منتخبة في النظام الديمقراطي والبرلماني توجد معارضة منتخبة مثلها تسعى لكسب الاصوات لحل وزارة وتشكيل اخرى .. لكن مثل هذا المشهد مرفوض في تربيتنا الثورية التي نشأنا عليها والتي تعتبر ان مجرد فكرة التصويت لاختيار الزعيم مؤامرة يستحق من يفكر بها حكم الموت العلني مثلما حدث في مجزرة اب ١٩٧٩ في العراق واعدم عشرون قيادياً من خيرة من انجبهم حزب البعث .. فهل نحن مقبلون على مجزرة انتخابية ام ترانا مقبلين على عرس ديمقراطي لم يشهده استبدادنا الشرقي ..

اخي الرئيس المالكي ..

لقد عشنا في شظف الحياة مجاهدين ومناضلين ومعارضين لربع قرن فوق ارض بلاد الشام العربية وقد عرفتك منذ ذلك التاريخ رجلاً ترك امره وحياته لله وللناس .. وعندما زرتك وانت رئيس وزراء برغم ما بيننا من خلاف لم المس شيئاً قد تغير فيك .. وهذا شأن النفوس الكبيرة .. وقد ادرت البلاد في ظروف صعبة عز على غيرك النجاح فيها .. حتى تحول خصومك اليك .. لكن الامر قد اختلف في ولايتك الثانية .. وقد صارحتك بحضور الزملاء اعضاء الكتلة البيضاء عند تشرفنا بمقابلتكم بأن ولايتك الثانية تتعثر وانك كنت في الاولى افضل منك في الثانية .. وقد نشرت هذا الرأي في وسائل الاعلام على عادتي .. فيما الاصل بأن الولاية الثانية هي فرصة واسعة يجول فيها المسؤول بعد تجربة الولاية الاولى لتحقيق ما عجز عن تحقيقه سابقاً وهذا هو حال كل من ينتخب مرتين في الديمقراطيات الغربية ..

ولقد تحدثنا في لقاءات ثنائية عن اسباب هذا التعثر واتفقنا في تشخيص بعض اسبابه واختلفنا في تشخيص اسباب اخرى .. وتمنيت عليكم ان تتركوا بصمات كالتي تركها عبد الكريم قاسم .. واخلصت المشورة كعادتي مع من يستشيرني .. وكنت كلما اقترحت عليك امراً لصالح الناس وتمشية امورهم .. حتى للفقراء من السكان الأصليين و الاصحاب السابقين للمنطقة التي تسمى الان بالمنطقة الخضراء .. فإن مصير هذه المقترحات والمطالب العادلة الى ضياع .. حتى اخذتني الشكوك بعد عامين من التجربة المستمرة معكم ان الامر لا يعدو ان يكون اما ان لرئيس الوزراء توقيعين واحد للمحظيين من محيط الحاشية يتحول فيه اشباه الأميين الى اصحاب سعادة ومعال .. واخر يضع احلام المساكين رهناً بأيدي موظفين في مجلس الوزراء لم يعرفوا حب الناس ولا حب الخير ولا الولاء للرزق ولا لرب العمل ..وكأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد حذر من هذا الطراز من البشر في قوله الشريف " ان من الناس ناساً مفاتيح للخير .. مغاليق للشر .. وان من الناس ناساً مغاليق للخير .. مفاتيح للشر " .. اما تمثيل المكونات العراقية في مجلس الوزراء والكتل السياسية فيكاد ان يكون بالنسب الدنيا سواء على مستوى اثني ام مذهبي ام سياسي .. وهذه حالة مصادق عليها في الانظمة الثورية ومذمومة نهائياً في اي نظام يؤمن بحقوق متساوية لمكوناته هذه .

اخي الرئيس ..

انك كقارئ لتاريخ العراق أدرى بأن الزعامة لم ترتبط يوماً بمنصب رئيس الوزراء فأعظم زعماء العراق لم يكونوا رؤساء وزارات مثل محمد جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي ومحمد مهدي كبه وصديق شنشل .. ولهذا ونحن في هذا الملتقى وليس المفترق اتمنى ان تستمر زعامتك لتيار سياسي واسع وان تكون كما كان حال رؤساء الوزارات في العراق الملكي الليبرالي حيث يتحول نوري السعيد من مكلف بتشكيل وزارة الى مكلف بمنصب وزير خارجية فيها ويتحول توفيق السويدي من وزير خارجية مرشح عند نوري السعيد الى رئيس وزراء يشاركه ثلاثة رؤساء وزارات سابقين بمناصب وزارية .. ان الامر مرتبط وانت ادرى بمنهجنا السياسي.. ثورياً ام ليبرالياً فعند الثوريين يتحول الاصفار الى آلهة والآلهة الى اصفار وفي النظام الديمقراطي الناس سواء لا آلهة ولا أصفار .

لم اكن في تاريخي السياسي ولا مرة واحدة الا مخلصاً لطبقتي الاجتماعية .. وهي الطبقة التي نشترك فيها معاً والتي وصفها المفكر الفرنسي عمونؤيل سايبس بأنها كل شيء .. وتسأل وما هو دورها .. فأجاب لا شيء .. وماذا تريد ان تكون .. فأجاب ان تكون شيئاً .. هذه الطبقة التي عقدت علينا الآمال خذلناها عندما لم نشكل محكمة لمعاقبة المفسدين .. واللصوص .. والذين اصبحوا بين عشية وضحاها من طبقة الملاك الكبار .

ان حاشية رئيس الوزراء وبضمنه ديوان وكوادر مجلس الوزراء وبضمنه كوادر كان بعضها ذا شأن في الثقافة والسياسة والجهاد لم تجرؤ حتى بالهمس بقول رأيها بأن النظام البرلماني لا يتحمل ان عائلة رئيس الوزراء متنفذة .. ولهذا هاجر مارك ابن السيدة تاتشر الى الولايات المتحدة عندما اصبحت امه رئيسة للوزراء في بريطانيا .. ولكن يجتمع في النظام الثوري حبائب واقرباء .. وحواشي وورثة وحكايات لا يقرؤها الناس الا في قصص الف ليلة وليلة .. انهم اذا تغير رئيس الوزراء بآخر قد يكتبون شيئاً من هذا الذي اكتبه الان وانت في سدة الرئاسة ..

ان لك حزباً منظماً وبإمرتك قيادة القوات المسلحة وتحتفظ بأصوات بالبرلمان قد تحول دون سحب الثقة او قد تخفق .ولكنها اصوات جليلة .

اني اتمنى لهذه الطبقة السياسية وحكومتها ان تتوارى عن الانظار .. برغم قناعتي ان الحكومة التي ستلي حكومتكم قد لا تكون افضل من سابقتها لفساد الطبقة السياسية التي تنتج الحكومات وقد يأتي على يديها الخير للناس.. وقد نتحسر على رئيس وزراء بمستوى المالكي بالرجولة والتواضع .. وفي التاريخ الطويل من الجهاد .. وان ترأس وزارة قد اخفقت من ست جهات .. اما اذا لم يحصل مشروع سحب الثقة على الاصوات المطلوبة فسيتحول التصويت الى مهرجان لتعزيز الثقة بوزارتكم وهي فرصة نادرة للاصلاح على ان يبدأ الاصلاح بالمحيط الاقرب وبالدوائر الصغرى وان يستهدف مغاليق الخير حتى تُشرع ابواب الدولة للفقراء والمستحقين.. والسلام عليكم ورحمة الله

النائب عن بغداد / كرادة مريم
٢ حزيران ٢٠١٢

عالم آخر

■ سرمد الطائي

عتاب الجعفري وإشفاق البعثيين

لا ادري كيف سمع السيد نوري المالكي، عتاب الجعفري والحكيم بشأن كل شيء؟ اي كلمات سمع منهما وأي أسف؟ ان ما يحدث هذه الايام مؤسف لنا جميعا، وليس مجرد نقطة اسف في تاريخ حزب الدعوة. الامر مؤسف على مستوى الطائفة الشيعية، ومؤسف على مستوى الوطن بأسره، ومؤسف على مستوى ملايين العراقيين الذين قدموا تضحيات مؤلمة كي يروا وجها حرا لبلادهم.

لا يسر المرء ابدا ان يرى المالكي وحيدا ومعزولا بهذا القدر. كان يتباهى ويزهو منذ نهاية ٢٠١٠ بأنه الاكثر قوة، وراح يقوم بالتنكيل بابراهيم الجعفري سلفه وسنده، والاستهزاء بعمار الحكيم وهو زعيم المجلس الاعلى حليفه الاساسي. لكنه لم يجد سواهما كي يقفا الى جانبه في مؤتمر صحفي لم يقل شيئا مساء الخميس.

لم يكن يتصور احد، حلول هذه اللحظة. لم يكن يتصور احد ان الجميع سيغادر قاعة العملية السياسية ليجمع تواقيع خلع المالكي، وان الاخير لن يجد من يقف الى جانبه امام الكاميرات سوى خصومه الذين نكل بهم واستهزأ: الجعفري والحكيم. جاءه الرجلان ليحاوراه متأسفين على ما حصل له، وقد كانا يحذرانه من الانفراد بكل شيء، لان المصيبة لو وقعت فسيتقاسم الجميع تداعياتها.

لا ادري كيف عاتبه الجعفري والحكيم؟ من المؤكد انهم قالوا له اشياء من قبيل: لماذا تفترض ان الطائفة الشيعية عقيمة لم تنجب سواك؟ ومن المؤكد انهم اسمعوه كلمات من قبيل: هل عرفت الان ثمن اشاحة وجهك وصم أذنيك عن سيل النصائح والمبادرات لتهدئة ما سخن من صفيح على اكثر من موقد؟ وطبعا فقد قالها الجعفري بطريقته الملغزة والغامضة والمطنبة، لكن الحكيم سردها بسلاسته ومباشرته ودبلوماسيته ايضا.. هل بقي متسع للدبلوماسية اليوم؟

حاول المالكي ان يبدد عزلته عبر اكثر من استعراض دون جدوى. يصرخ ان تواقيع سحب الثقة المكتملة مزورة. ولا احد يدري لماذا يمتنع النواب الذين زورت تواقيعهم، عن الخروج الى وسائل الاعلام واشهار هذه الحقيقة؟

ومن هم النواب الذين يبخلون بتواقيعهم لسحب الثقة عن السيد المالكي؟ هل هم نواب العراقية الذين وصفهم المالكي بأنهم مجرد "فلول بعثية؟". هل ينتظر المالكي "شفقة" او "رحمة" من "فلول البعث"؟

كان شركاؤه يتوسلون كي يحاورهم، وهو يرفض ذلك حتى بعد انقضاء اسبوعين من اجتماع ٢٨ نيسان في اربيل. وحين اضطروا الى المباشرة باجراءات عزله راح يتوسل كي ينعقد لقاء او حوار، والجميع قال له بعد اجتماع ١٩ ايار في النجف، ان الاوان قد فات. ثم صار يقول ان التواقيع مزورة، وهو يعجز منذ ايام عن اثبات ذلك. استجار بمحافظيه الثمانية كي يعلنوا اقليما، فقال له الجميع: مبروك، وهذا حقكم الدستوري ولا صلة له ببقاء المالكي او رحيله.

منذ اعوام لم يكن المالكي مجبرا على ان يسمع كلمات قاسية، لا من الجعفري ولا من الحكيم. ولم يخبرني احد بما قاله الرجلان لرئيس الحكومة، لكن كل شيء يوحي بأن المالكي ولأول مرة منذ اعوام، سمع اقسى كلام يمكن ان يصدر عن الجعفري والحكيم، وهو كلام يصاغ على وقع "صدمة التواقيع" المصيرية.

ساسة الشيعة يسألون المالكي اليوم، لماذا تدير الصراع بطريقة انك المرشح الاوحد للطائفة، وان نساءنا عقيمات؟ ساسة العراق يسألونه، لماذا تدير الصراع بطريقة انك غير مسؤول عن عواقب سيئة ستحدث بعد سحب الثقة؟ هل تنوي ان تتلفظ بكلمة اخرى اكثر وضوحا؟ هل تريد القول انك تركت للعراقيين بناء هشا سيتداعى بمجرد رحيلك؟ اين الجاهزية الامنية التي تتفاخر بها لو كان كل شيء معرضا للاهتزاز بمجرد ان تغيب؟ ماذا لو رحلت عنا فجأة لسبب اخر غير سحب الثقة، لمرض او اي سبب آخر؟ ألا يتحسب السلاطين وقادة الدول ويحتاطون لمثل هذا؟ ام انهم لا يعودون يهتمون لبلدانهم لو حصل لهم مرض او غياب؟ كم سؤالا علينا ان نطرح على المالكي قبل نهاية الاسبوع؟ اي شفقة ينتظر من خصومه "البعثيين" او انداد كالجعفري والحكيم؟

حـــكاية أول حكـومة تم ســحب الثـــقة عنـــها في تـــاريخ العـــراق المعـــاصر

□ بغداد / المدى

المجلس النيابي العراقي ١٩٢٨

حين شكّل أربع عشرة وزارة خلال تاريخه السياسي الذي انتهى صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ في هذه الشهادة التي يقدمها السياسي الراحل حسين جميل نقرأ كيف تم أول سحب ثقة او ما يسمى اقالة حكومة في تاريخ العراق المعاصر وهي حكومة ناجي السويدي الشهادة التي نشرها السياسي الراحل في كتابه الصادر في بغداد عام ١٩٨٥شهادة سياسية.

حسين جميل وشهادة سياسية

احدث انتحار عبد المحسن السعدون دويا كبيرا في المجتمع العراقي، وهزة عنيفة في الحكم. فقد كان يوم انتحر من ابرز ساسة العراق.كان رئيس حزب سياسي هو صاحب الاكثرية في مجلس النواب. وكان قد تولى رئاسة الوزارة اربع مرات، ورئاسة المجلس التأسيسي، ورئاسة مجلس النواب، واجرى انتخابات نيابية مرتين، مرة وهو وزير داخلية في وزارة ياسين الهاشمي (١٩٢٥) ومرة وهو رئيس الوزارة (١٩٢٨) وكان خلقه العالي قد جعله موضع احترام وتقدير عارفيه، حتى خصومه السياسيين والمختلفين معه في السياسة والآراء والمواقف. هذا بالإضافة الى ظروف الانتحار، وما جرى في جلسة مجلس النواب في ١٩٢٩/١١/١١ .قبل انتحاره بيومين .والتي قال فيها: " ان نوال الاستقلال تابع الى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب ان تتهيأ له، ولا يكون ذلك بالكلام والأقوال الفارغة، ان الاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية". (مجموعة المحاضر ص ١٥). الامر الذي دفع نائبا لان يقول في الجلسة نفسها ان السعدون يقول يجب على الامة العراقية ان تهاجم بالحراب وان تجدد الثورة" (ص ٢٦).

ناجي السويدي

عبد المحسن السعدون

هذا واذا كان حادث انتحار شخص ما ليس بالحادث العادي، ومن شأن حادث من هذاالقبيل ان يحدث هزة في المجتمع الذي يقع فيه، فإن شخصا بمكانة عبد المحسن السعدون في المجتمع، ينهي حياته بيده وهو رئيس الوزارة، لابد ان يحدث دويا كبيرا في المجتمع، وهزة عنيفة في الحكم. هذا الى جانب ما تضمنه الكتاب الذي كتبه في موضوع انتحاره، ونشر في اليوم الأول بعد ليلة الانتحار، من ربط بين الانتحار والوضع السياسي القائم، وفيه ان "الامة تطلب الخدمة والانكليز لا يوافقون".

ويبدو لي ان الهزة العنيفة في اوساط الحكم التي احدثها هذا الحادث، دعت الانكليز والملك على ان يعملوا على تهدئة المجتمع، وامتصاص النقمة، او لنقل الاستياء على الاقل من الاسباب التي حملت السعدون على الانتحار، وقد فسرها الناس على انها تصلب الانكليز ضد المصالح الوطنية، وكانت الخطوة الاولى لذلك ايداع الحكم بيد حزب عبد المحسن السعدون. حزب التقدم وان يتولى رئاسة الوزارة الشخص الذي يلي السعدون في الحزب، وهو ناجي السويدي، وان يبقى وزراء وزارة السعدون في الوزارة الجديدة. وقد تم ذلك بعد ان اضيف الى الوزارة وزير واحد هو خالد سليمان. شقيق حكمت سليمان.

وفي تقديري ان ناجي السويدي لم يكن عند الانكليز وعند الملك فيصل، هو الرجل المؤهل لإجراء المفاوضات مع بريطانيا لعقد معاهدة جديدة تقرر العلاقات بين العراق وبريطانيا بعد قبول العراق عضوا في عصبة الامم، انما الرجل المؤهل لذلك عند الطرفين هو نوري السعيد. لذلك فإني اعتقد ان الملك وهو يكلف ناجي السويدي بتشكيل الوزارة، فان ذلك كان للسبب المتقدم، بالإضافة الى ان تأليف الوزارة من غير حزب التقدم. صاحب الاكثرية في مجلس النواب .كان يترتب عليه حل المجلس، وكان انتخابه قد تم في السنة السابقة. لذلك كله فإن تفكيري ينصرف الى ان وزارة ناجي السويدي في خطة الملك والانكليز، وزارة مؤقتة الى ان يأتي الوقت المناسب لإيداع الحكم الى نوري السعيد. وسوف نرى انه عندما اتى هذا الوقت، وضعت الوزارة في ظرف وجدت ان لا مخرج منه الا الاستقالة.

ان هناك ما يدل على ان الملك فيصل كان يريد ان يودع تشكيل الوزارة الى نوري السعيد منذ ان استقالت وزارة السعدون في ١٩٢٩/١/٢٠ ،وكان الملك قد قبل هذه الاستقالة في اليوم التالي لتقديمها ، وبقيت الوزارة تدير شؤون الدولة بصورة مؤقتة الى ان تتشكل وزارة جديدة. وعندما مر اكثر من شهرين بأمل حدوث تغير في موقف بريطانيا الى ما يرضي المفاوض العراقي بشأن تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية ولم يتم شيء من ذلك، طلب السعدون من الملك في ١٩٢٩/٣/٣٠ ايداع الحكم الى من يثق به، وكان رأي الملك ان يعهد الى نوري السعيد بتشكيل الوزارة. وعن هذه النقطة اقتبس شهادة توفيق السويدي وزير المعارف في الوزارة المستقيلة، وكان وثيق الصلة بالسعدون ومستشاره في كثير من الامور السياسية.

ماذا قال السويدي عن حكومته؟

يكتب ناجي السويدي في مذكراته "نصف قرن من تاريخ العراق" تقدم الملك محاولا تأليف وزارة جديدة، فسأل الرئيس المستقيل عما يبديه من مشورة في الرئيس الجديد، فقدم له رأيا يقضي بلزوم تكليفي بتأليف الوزارة موضحا بأن وزارتي سيؤيدها حزب التقدم الذي هو حزب الاغلبية في المجلس، واضاف بانه هو شخصيا يؤيدها بصفته رئيس حزب التقدم. ولكن جلالة الملك كان مترددا في قبول هذا الرأي لان ميوله الشخصية كانت دائما متجهة الى نوري السعيد، وقد حاول ان يقنع السعدون بهذا الرأي ولكنه لم يفلح، اذ اعلن السعدون انه لا يقبل مسؤولية مؤازرة وزارة يؤلفها نوري السعيد لأسباب ذكرها ولم يرد ان يوضحها لأي كان. وقد اشكل الامر على جلالة الملك اذ لاح انه كان قد وعد نوري السعيد بتكليفه بتأليف الوزارة الجديدة. ولما اصطدم بمعارضة المرحوم السعدون صار في موقف صعب، وحلاً للخلاف رتب مع السعدون ان احضر انا ونوري السعيد لديه ويكلفنا سوية بتشكيل الوزارة، ويكون بذلك قد وفى بوعده لنوري السعيد، واخذ بنصيحة المرحوم السعدون. وهذا ما فعله".

"حضرت ودخلت على جلالته فوجدت عنده السيد نوري السعيد. فوضعنا في صف واحد وصار يوجه الكلام الى كلينا قائلا انه يعتمد علينا ويقدر خدمتنا ويريد منا ان نتكاتف ونشتغل سوية في الوزارة الجديدة،ويكلفنا نحن الاثنين بتأليف الوزارة. وقد كان التكليف غريبا في بابه جدا. الا انني كنت على علم سابق به من قبل المرحوم السعدون، وكنت اعرف ما يريده جلالة الملك، فأسرعت في الجواب قائلا: اني اشكر جلالة الملك على عنايته بي وتقديره لخدمتي الضئيلة ولطفه السامي لتكليفه اياي بتأليف الوزارة مع الاخ نوري، ولكن اسارع فأقدم لجلالته رغبة شخصية هي ان يكتفي بتكليف نوري بالوزارة وانا اقبل ان اتعاون معه، و لا حاجة لتكليف الاثنين في امر لا ينقسم الى قسمين . ولما بدأ نوري السعيد يتكلم قال بعد الشكر لجلالته على لطفه، انه يوصي من جهته ايضا بأن، يكلفني بالوزارة. ولكنه بالنظر لشعوره بالتعب رجا بأن يعفى من ان يشترك هذه المرة في وزارته".

مدير التحرير | رئيس القسم | مسؤول الصفحة | القسم الفني | قسم التصحيح